

اسم الأستاذ(ة): سلوى بوراس  
المقياس: مدخل إلى الآداب العالمية  
السنة: الثانية.

التخصص: دراسات أدبية  
النوع(محاضرة/تطبيق): محاضرة  
المجموعة: الرابعة

## المحاضرة الثانية الآداب الغربية القديمة/تحديدات اصطلاحية:

### 1/ مفهوم الملحمة

هي شعر غنائي قصصي قومي بطولي، يروي أحداثا خارقة، لا يمكن للأشخاص العاديين أن يأتوا بمثلها، وأهم ما فيها عنصر الخيال، الذي يسرف في ابتداع الصور المتنوعة، ويغالي في تضخيم المعارك الخارقة، وإلى جانب الأحداث البطولية الضخمة، أبطال متفوقون، فوق مستوى البشر، وأقرب إلى الآلهة، يصنعون التاريخ بأعمالهم العظيمة ولطالما حلم الإنسان باجتراح العجائب والمعجزات. (1) وهذا يعني ان الملاحم لم تكن حكرا على الشعوب القديمة بل هي لكل الشعوب، في كل الأزمنة قديمها وحديثها. وإن الأفلام أو الأشرطة السينمائية المصورة تحدثت في الستينات والسبعينات من القرن الماضي عن " السوبرمان" وهي اليوم تصور أحداث الرعب في عمليات غزو لكوكب الأرض يقوم بها كائنات غريبة مخيفة آتية من عوالم أخرى نائية، ولكن يبقى الاختلاف قائما بين ملاحم الامس البعيد وملاحم اليوم من حيث التأليف والصياغة والهندسة والهدف والخلفيات الثقافية والعلمية (2)

ويمكن للأبطال القومييين في حقبات الحروب، أن يستأثروا بحب الشعب وتقديره، فيضفي عليهم مع مرور الزمن، هالة من القداسة والتعظيم والبطولة، ما يحمل مقامهم في مصاف الآلهة.

يقول لا مرتين Lamartine: " الملحمة هي الشعر في طفولة الشعوب، حيث يختلط التاريخ بالأساطير، والخيال بالحقيقة، فيحل الشعراء محل المؤرخين في كتابة التاريخ... وتشعر الشعوب بالحاجة إلى وصاية الكبار والأبطال، وتربط مصالحتها بهؤلاء الأشخاص الأقوياء الذين حرروها من العبودية، أو نقلوها إلى درجة من الحضارة" (3).

### 2/ خصائص الملحمة:

<sup>1</sup> أنطونيوس بطرس: الأدب تعريفه ، أنواعه، مذاهيه.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

## 1/2 /البطولات الخارقة:

يصور الشاعر في الملحمة قوة الشعوب المادية والمعنوية، طيشها وعواطفها الطفولية الجياشة ، بخيال مبدع خلاق، يرى في الماضي من الزمن مثله العليا فيغوص فيه، باحثاً ومنقبا، حتى يعثر على صورة أبطال أتوا أعمالاً مجيدة، فيخرجهم من ذاكرة التاريخ إلى حاضرة الأمة بحلة قديسة، داعياً أبناء قومه إلى التشبه بهم، وفي الأزمنة الصعبة يحتاج الناس إلى بطل منقذ، ليبعد عنهم الظلم ، وليخلصهم من العبودية والاستبداد، فيستحضرونه من عقلم اللواعي، ويسبغون عليه صفات الحامي والملخص، ولا يمكن لأي من الناس العاديين، أن يقيس نفسه بهذا البطل، أو أن يتشبه به، ففي الملحمة السومرية، خلقت الآلهة البطل "جلجامش" بإحدى عشرة ذراعاً فقتل الثور الإلهي، وقضى على العملاق "حمبابا" حارس غابة الأرز، وصد الآلهة عشتار وتغلب عليها:

**" الآلهة العظيمة خلقت جلجامش كأعجوبة**

**له احدى عشرة ذرعا، عرض صدره تسعة أشبار**

**الشمس وهبته الحسن والجمال**

**ثلثاه إله وثلثه الباقي إنسان**

**أسلحته فتاكة ألقى الرعب في قلوب الناس"<sup>4</sup>**

تعود هذه الملحمة إلى ما قبل الألف الثاني ق.م وهي مجهولة المؤلف، من الأدب السومري كانت تعرف في العصور القديمة، لدى الناس بـ "من عرف كل شيء" وهو البيت الأول فيها

تروي الملحمة حكاية ابن الملك "أوروك" وكان يدعى جلجامش وتدعى أمه الإلهة "نينسون" ، وربما كان له وجود فعلي، في مرحلة سحيقة القدم، إلا أن ملامح شخصيته ضاعت بين الأسطورة والواقع، فتدخلت مخيلة الرواة والشعراء ، وأضفت عليها هذه الغرابة التي عرفتها الشعوب في طفولتها، وكان جلجامش قاسي القلب ، ظالماً، يسوق الفتيان إلى ساحات الوغى، ولا يعبأ بتضرعات أمهاتهم وعويلهن، ويفرق بين المحبين، فيفتك بكل فتاة تغرم بسواه، حتى ضج الناس بتصرفاته، فتضرعوا إلى كبير الآلهة "أنو" ، كي يوقفه عند حده، واستجيبت تضرعاتهم، فطلب " أنو" من إلهة الخلق "أورورا" أن تبعث رجلاً يجمع جلجامش ، ويحد من جنون سلوكه.<sup>(5)</sup> ولم يكن الأمر سهلاً ، لأن ملك "أوروك" لم يكن

<sup>4</sup>أنطونيوس بطرس: الأدب تعريفه، أنواعه، مذاهبه.

<sup>5</sup>أنطونيوس بطرس: الأدب تعريفه، أنواعه، مذاهبه. ص: 61 62.

كسائر الناس العاديين، وتقول الأسطورة إنه كان يملك إحدى عشر ذرعا وثلاثة انسان، أما ثلثاه الباقيان فيشران إلى هيئة إله.

وفي إيذاة "هوميروس"، يطوف كل من "أخيل" و "هكتور" ثلاث مرات بمدينة طروادة، ويصرخ أخيل صرخة يرتعد لها الجيشان، وتذكرنا هذه الصرخة صرخة "عنتره" وهو يحتضر، فارتجت الجبال والأوداء لهولها.

## 2/2/ الملحمة شعر قومي:

يستعير الشاعر الملحمي دور المؤرخ، ليسجل بعض الأحداث العظيمة شعرا، ويمكننا اعتبار هذا التاريخ البطولي تأريخا قوميا، يستند في الأساس على شيء من الواقع والحقيقة، قبل أن تضخمه المخيلة، وتضفي عليه صفة الخارق كما تتضمن الملحمة بالإضافة إلى وصف قوة الأبطال والمعارك، تصويرا لأخلاق الشعب، وقوانينه، وعقائده، وطبقاته، وحياته الاقتصادية، والسياسية والدينية والعلمية. يقول سليمان البستاني:<sup>6</sup>

" فإذا أخذت الطب مثلا رأيت هوميروس ألم بجميع علومه من جراحة وتشريح وبحث في النبات والعقاقير والصيدلة والعلاج ووصف الأمراض والأوبئة"

ويضيف: " وإذا طلبت الفلك وعلم الهيئة ذكر لك كلما بلغه منهما علم زمانه فوصف السماء والأبراج وتطرق إلى التنجيم فبحث في تأثير طوابع النجوم، وذكر الظواهر الجدية وفعلها في الأحياء"

## 2/3/ منظومة شعرية موزونة وفق بحر السداسي.

2/4/ هي قصائد شعرية تتنافس مقطوعاتها في سرد أسماء الأبطال الاغريق وأجدادهم.

2/5/ يميل معظمها إلى الحديث في المعتقدات القديمة ومع ذلك فإن الفلاسفة والفنانين يتسابقون إلى إيجاد حلول للظواهر الميتافيزيقية عن طريق اختراع آلهة لتلك الظواهر زوس إله الشعر، وإله الخمر والنماء

2/6/ يشيع الوصف في النصوص الهومييرية ويغلب على العناصر الأخرى.

2/7/ تميل النصوص الملحمية إلى تمجيد شخصية البطل وجعل الآخرين في خدمتهم مما يجعلنا نحكم عليهم بالانتماء إلى الكلاسيكية القديمة تمجيد الطبقة الأرستقراطية.

<sup>6</sup>المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

8/2/ يستعمل هوميروس وسيلة فنية أخرى لاستمالة القارئ وإغرائه هي ما يمكن تسميتها بالاستطراد<sup>7</sup>



هوميروس الشاعر الأعمى الذي كتب أكبر ملحمة عرفها الإنسان الإلياذة والأوديسا

### 3/الملحمة عند الرومان

مما لا شك فيه أن الرومان تتلمذوا لليونانيين في فن الملاحم بخاصة. ويقر هوراس: " بأن شعراء الاغريق العظام هم الذين وضعوا أوزان الشعر المختلفة.

وقد اطلع الرومان على الملحمة الاغريقية، بعدما ترجم مهاجر يوناني يدعى لفيوساندر ونيكوس viusAndronicus إلى اللاتينية الأوديسا، وبعدها ظهرت محاولات رومانية مقلدة. وجاء فرجيل Virgile / فنظم (الإلياذة) وهي أعظم ملحمة شعرية عند الرومان ألفت بين عامي 19/29 ق.م وتنزل في الادب اللاتيني مكانة تضارع مكانة الإلياذة في الادب اليوناني صاغها فرجيل في اثني عشر نشيدا، مشيدا بمآثر أبطال طروادة الذين جاءوا إيطاليا، بعد دمار مدينتهم، وأسسوا الإمبراطورية الرومانية العظيمة، وعاصمتها روما. وشاعت الخوارق والأساطير في الإلياذة ولا سيما وهي تروي تاريخ هذه المدينة الخالدة، منذ تأسيسها إلى زمن الشاعر ويتضح في هذه الملحمة أن فرجيل كان مأخوذا بحبين كبيرين طاغيين الطبيعة وروما وهذان الحبان يتجسمان في ملحمة الإلياذة (8)

وظهرت الإلياذة لتلبي حاجة قومية، وتسجل أمجاد الرومان شعراً، على غرار إلياذة هوميروس، بناءً على طلب الامبراطور " أوغسطس قيصر" الذي شاء أن تخلد أعماله، ويقال إن فرجيل ما كان راضيا عن عمله الشعري، فطلب عدم نشره، بعد موته. إلا أن الإمبراطور، بعد عامين من موت الشاعر، أمر بعرض الملحمة على مجموعة من العلماء قبل نشرها. ولكن لم يستطع أحد حذف أو إضافة شيء عليها عندئذ، صدرت كما هي (9).

<sup>7</sup> ينظر هوميروس: الإلياذة، تر: أحمد عثمان وآخرون، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط2، 2007.

<sup>8</sup> أنطونيوس بطرس: الأدب تعريفه، أنواعه، مذاهبه.

<sup>9</sup> المرجع نفسه. والصفحة نفسها.

انتقلت الملاحم الأسطورية كجنس أدبي بخصائصه من الأدب اليوناني إلى الأدب اللاتيني، لأن الرومانيين كانوا قد حاكوا اليونان في الأجناس الأدبية، التي بها نما أدبهم وازدهر، وبهذا الطابع في البطولة والأساطير وعجائبها الوثنية الفطرية" تأثر شاعر اللاتينيين فرجيل، في ملحمة التي عنونها "الإنيادة" وقد نظمها الشاعر في السنين العشر الأخيرة من حياته أي بعد أن استقر سلطان الامبراطور الروماني "أوغسطس"، على إثر موقعة (أكتيوم) وهي ملحمة وطنية تمجد البطولة والمغامرات المنسوبة إلى "جلجامش" وصاحبه "أنكيدو" وتذكر حادثة الطوفان، كما أن غايتها هي الإشادة بأصل الإمبراطورية الرومانية، و "الإنيادة" مؤلفة من اثني عشر جزءاً، تنقسم إلى قسمين أساسيين، أولهما يحكي "أسفار البطل" "إنياس" حتى وصوله إلى إيطاليا، وهي محاكاة فنية دقيقة لأوديسا هوميروس، أما القسم الأخير فيحكي عن حروب "إنياس" وتغلبه على مناوئته من منطقة "لاسيوم" وتأسيسه الإمبراطورية الرومانية<sup>10</sup>.

وفرجيل في "الإنيادة" لا يرتفع إلى مستوى هوميروس في ملحمة، لا من حيث الوحدة فـ **إنياس** لا يرتبط ارتباطاً قوياً بالحدث، ولا من حيث ترتيب الأفعال وتقديم الحدث، وكذلك من حيث قوة التعبير وحرارة الصياغة، إذ أن هوميروس في هذه المجالات سيد شعراء ملاحم الأقدمين بدون منازع، غير أن المشاعر التي يصفها "فرجيل" في شخصياته أرق وأقل قسوة وسذاجة منها عند هوميروس، أما الديانة في ملحمة (الإنيادة) فأكثر روحية وسموا.

وقد شمل موضوع ملحمة "فرجيل" وصف أخلاق الرومان في أثناء هذه الأعمال المجيدة والسعي لبث الفضائل القديمة، في قلوب الرومان، وتصوير بطلها في صورة الإنسان الذي يعظم الآلهة ويهتدي بهديها، ويدعو إلى الإصلاحات والمبادئ الأخلاقية التي دعا إليها أغسطس فيما بعد<sup>11</sup>

كما أن (الإنيادة) تزخر بالأساطير وبخاصة أساطير العالم السفلي التي كما يعرفها "فرجيل" -حاول من خلالها أو من خلال العالم الأسطوري- أن يقدم رمزا لعالم الحقيقة والحياة و عما يختلج في نفسه من أحاسيس ورؤى يولد تفاعله مع هذا العالم، وتمنى "فرجيل" لو استطاع الناس أن يعودوا إلى ما كانوا عليه من حب للآباء والوطن والآلهة فـ (الإنيادة) انعكاس للحضارة الرومانية القديمة.

وقد عرف الأدب الروماني النثر القصصي حيث كانت القصة آنذاك ذات طابع ملحمي، فجاءت حافلة بالمغامرات الغيبية والسحر والأمور الخارقة، مثل قصة "سايبيريكون" التي ألفها "بترُونيوس" وهي هجائية، تصور مغامرات شائنة لصعلوكين وخدامهما، وتكشف عن

<sup>10</sup> محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن. نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2001.

<sup>11</sup> عبد الرزاق صالح: الأسطورة والشعر. دار الينابيع، ط1، 2009 ص:234

حال الطبقات الفقيرة في عهد "نيرون" وتصف العادات والتقاليد في سخرية مرة، كما تحكي كثيرا عن حيل السحرة والصوص.

كما تأثرت القصة الرومانية بالقصة اليونانية، وأشهر قصة يمثل بها لذلك التأثر هي قصة "المسخ" أو "الحمار الذهبي" والتي ألفها "أبوليوس" في النصف الثاني من القرن الثاني بعد الميلاد، ولها أصل يوناني مجهول المؤلف. وموضوعها يتلخص في أن "لوسيوس" يذهب عند الساحرة، ويطلب منها أن تقدم له دهان ليتحول إلى مخلوق آخر فتعطيه دهان يحوله إلى حمار، ويقع في أيدي كثير من الناس، من اللصوص وسواهم ويقاسي الجوع وضربات العصا، ويطلع على ضروب الفسق والعار، ثم يعود إلى حالته الطبيعية على يد كاهن الآلهة "إيزيس" وقد أراد المؤلف من خلال هذه القصة أن يهجو العادات والتقاليد وكذلك مدى استسلام الإنسان لغرائزه الحيوانية<sup>12</sup> وفي هذه القصة قريبة من أصلها الملحمي، لأن القاص ينهج منهج الشاعر، فكلاهما يصف ما يتخيل أنه أيسر مما يصف الواقع و يوجهه فكانت الأسطورة هي الأمثل لهذا الوصف.

عندما ندرس الأدب الروماني نشعر بأننا بصدد نصوص تعيد حياكة الأدب اليوناني وتشكيله بطريقة فيها ديباجة ولا يشعر القارئ أن هناك تطورا بل تخلفا طرأ على الكتابة الأدبية شكلا ومضمونا. والإنسان الروماني معتر بذاته مغرور أحيانا لكن ذلك لم يصمد في مجال الفن وفي الكتابة المسرحية خاصة وقد دلت النصوص التي وصلتنا أن الأدب الروماني لم يتجاوز مرحلة التقليد للأدب اليوناني (الإنياذة) مثلا صياغة ونحت للإلياذة التي وضعها هوميروس كما سميت مثل الأوديسا نسبت إلى بطلها أوديسيوس والإنياذة بطلها إنياس.

\*كان الرومانيين ولوعين برؤية مشاهد المصارعة التي كانت تقام في كل الاحتفالات ولم يكونوا ميالين إلى المشاعر الرقيقة التي تتضمنها المسرحيات، لقد اعتمدت المسرحية اليونانية مبدأ إثارة العواطف وخاصة الرحمة والخوف وسعت لإحداث أثر تطهيري في نفسية المتفرج والممثل معا.

\*نشأ المسرح الروماني عند منتصف القرن الثالث قبل الميلاد وهو زمن غائر في التاريخ لكنه لم يحقق لها مجدا يمكن أن يضاهي مجد المسرحية الإغريقية، والحقيقة ان المسرحية الرومانية لم تكن رومانية خالصة فقد كانت الملابس والمناظر إغريقية ولم يبديع الرومانيون شيئا يتعلق بالإخراج المسرحي أو بالقوانين والقواعد التي تحكم الفعل الدرامي.

\*إن المسرح الذي تعرض فيه مسرحيات بلوتوس تحوير لنماذج هيلينية فالخشبة فيه بارزة إلى الإلمام ثم عُدل مكان الفرقة الموسيقية فصار نصف دائري أو هلاليا، وكان الهدف من ذلك هو تمكين المشاهدين ومساعدتهم على الرؤية والتمتع بأحداث المسرحية صنف

<sup>12</sup>محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن. ص164.

الرومانيون ملاهيمهم إلى بالياتاوتوقاتا وكان ذلك على أساس اللباس وهو باليوم ومعناه في اليونانية الرحلة أو طوقا في الرومانية وهي الرحلة كذلك، كما استخدم الرومانيين الأفتعة مثل أسلافهم اليونانيين وصورا حياة البذخ التي حاول الشباب أن يعيشوها مع غيرهم وصورا أيضا العلاقات العاطفية ومعارضة الكبار لحياة الترف.

\*يؤكد الكلام السالف محاكاة الأدب الروماني للأدب الاغريقي ورغم أن العصر الروماني جاء بعد العصر اليوناني إلا أننا بالكاد نستطيع التمييز بين طريقة الكلام وأسلوبه وبين شكل النصوص وقوانينها.

#### 4-الإنياذة:

ولد فرجيل سنة 19 قم وهو شاعر وطني تحدث كثيرا عن عظمة الملك أغسطس وروعة الإمبراطورية الرومانية مجد الثائرين، ومدح الأبطال لم يلتزم بالتوهيمات الأسطورية التي تشبث بها النص اليوناني اسمه الحقيقي هو: بيبليوس فرجيليوس مارو. PUBLUIS VIRGLUIS MARO.

يستيقظ "إنياس" من حلمه مذعورا فقد شاهد بطش اليونانيين بأهل طروادة ويحمل ولده على ظهره ثم يقوده من يده وتتبعه زوجته، يتوجه الجميع إلى القوارب التي ترسو على الشاطئ ويفرون باتجاه روما في البحر يصب عليهم الإله جنون ويحطم كل السفن يصب غضبه عليهم ويلقي البحر بمن نجوا على شواطئ ليبيا وتونس كان إنياس ممن ألقى بهم على شواطئ تونس ومن قرطاجنة يتعرف على الملكة ديرون التي تتعلق به وتنشأ بينهما علاقة، يساعد إنياس الملكة في تصريف أمور المملكة ويقدم بها إلى أن يأتيه هاتف من روما من خلال نومه يطلب منه العودة إلى روما لمساعدة أهلها وقد بين له الهاتف صورة ابنه وزوجته، يقرر إنياس العودة إلى روما وتكون لحظة الوداع أهم المقطوعات التي وردة في الإنياذة. رغم أن إنياس كان متشبثا بالعودة تحاول ديرون إقناعه بالبقاء وحين تفشل تقتل نفسها بعد أن تلعه..<sup>13</sup>

في البحر تتحطم السفينة التي كانت تنقله، حيث يجد نفسه في كهف بعد ذلك يلتقي بكارون الذي ينقله عبر النهر إلى الضفة الأخرى، كما يلتقي بالكلب ذي الرؤوس السبعة الذي يمنع الموتى من الرجوع إلى عالم الأحياء هذا هو عالم الآخرة في البداية يلتقي بموتى الحب والمنتحرين في حقل الدموع ومن بينهم ديرون الذي يتوسل إليها لتسامحه لكنها لا تسمعه ، بعد ذلك يلتقي بالمفسدين والجبابرة الذين كان الناس يعانون منهم في الحياة الدنيا حين يبدأ الصعود يلتقي بوالده الذي يعرفه بالأبطال من الرومانيين ولما يصل إلى الباب يخرج منه

<sup>13</sup>ينظر فرجيل: الإنياذة، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط2، 1978.

ليجد نفسه في روما التي يشارك أهلها في الحروب ويسهم معهم في تأسيس الإمبراطورية الرومانية الخالدة.<sup>14</sup>

### 5- خصائص الإنياذة: 15

يتحدث نص الإنياذة عن واقعة تاريخية تتعلق ببداية تشكيل الإمبراطورية الرومانية الخالدة يتمتع النص بجملته من الخصائص التي تمتد إلى الأدب اليوناني لكنه يتميز بجملته من الخصائص الأخرى أهمها:

\* يتحدث فرجيل في نصه موظفا لغة بلاغية وكلمات تتمتع ببعد عاطفي لكن ذلك لا يعني أن نصه رومانسي فالأساس في كل المواقف هو العقل الذي يتحكم في تصرفات الأبطال وسلوكياتهم، فقد فضل إنياس واجبه الوطني حين استدعى للمشاركة في بناء الإمبراطورية الرومانية.

\* عدم فصل فرجيل بين الواقع وحياة الموتى، فحياة الموتى لا تختلط بحياة الأحياء ويبدو ذلك جليا في المقطع الذي يطلب فيه من ديديرون أن تسامحه فهي لا تسمعه.

\* في النص أحداث تاريخية كثيرة يمكن الاستفادة منها بعد غربلتها ومنها كيفية تأسيس الوجود الروماني في بلاد المغرب، لكن هناك ميلا إلى نزع صفة البطش والهمجية، كما تبدو الصراعات والحروب في النص بمثابة الدعامة التي تمكن للاسترشاد بها خلال الحديث عن طبيعة اليونانيين بأنهم شعب يحب مشاهدة المصارعة.

\* شكل نص الإنياذة وفق منظومة سردية واضحة تبدأ بالتمهيد أو تهيئة الجو أمام المتلقي ثم تبحر في التعقيد لتعطي خاتمة ناجحة تتمثل: في ظهور الإمبراطورية الرومانية.

الإنياذة نص قابل للدراسة لأنه يحيل على مجموعة من الدراسات الثقافية المتنوعة: اليونانية الرومانية والعربية وغيرها، وستتأثر بها نصوص اللاحقين لأن النص يحمل هما وجوديا ونظرة فلسفية للحياة فيه إثارة لسلطة الأنثى وهمجية الذكر وفيه التفاتة إلى أقسام الحياة وواقعها والحياة الأخرى.....

<sup>14</sup> المرجع نفسه.

<sup>15</sup> المرجع نفسه.



